الأساس الفلسفي والعلمي لعلم النفس

(1)

مرحلة التكوين

الفكر البدائي:

إن المتأمل إلى تاريخ دراسة النفس البشرية يجده يعود إلى أصول سحيقة في القدم حاول الإنسان خلالها الكشف عن النفس البشرية وعن أسرارها وعن ألغازها المحيرة المدهشة والتي حيرت ذهن الإنسان منذ بداية الخليقة .

فقد كان يتساءل عما يحركه أثناء نومه ليحصل على الطعام والشراب ويتلذذ بشهواته ويحقق أمور كان يراها في واقع حياته محالاً .

وكان يتساءل لماذا يخاف أو يخجل ولماذا يرتجف ويضطرب ، ورغم محاولاته ألا يحدث ذلك لماذا كان لحظة يسعد ولحظه يحزن .

لقد كان الإنسان البدائي يعزو تلك الحوادث التي كانت تشغله إلى أمور غيبيه وكان الإنسان البدائي يفسر تلك التساؤلات بوجود إنسان أخر يعيش في داخله ولا يمكن رؤيته أو حصره في حدود مكانية أو زمانية معينة وذلك الشخص أو الإنسان الداخلي كان هو المسئول عن لحظات الحزن والفرح وهو المسئول عن إرتكاب الإنسان للخطيئة ومن ثم هو المُعاقِب عليها فهو " الذي يدفع الإنسان الحقيقي إلى أمور تخالف تشريع القبيلة أو المجتمع الذي ينتمي إليه .

وقد نظر إلى تفسير أحلامه بأن ذلك الشخص الكامن في داخله يخرج أثناء النوم من الفم أو المنخارين ويتجول ويقضي شهوته ويرتكب المحظورات وأن ذلك الشخص غير المرئي هو سر وجود الشخص العادي ولو أنه خرج ولم يعد أصبح الجسد البشري بارداً وساكناً عن الحركة .. ولكي لا يحدث ذلك كان الإنسان البدائي يحاول قفل فمة بشيء ما حتى لا يهرب الإنسان المرئي .

ومما يذكر أن الإنسان البدائي نظر أيضا إلى أن النَفَس (بفتح النون والفاء) وبعض العناصر غير المرئية بإنها السبب لما يحدث وهي سبب الخبرة وضابطها وقد أجتمع البدائيون على أن المسبب شيء غير مرئي " إنسان أو نَفَس " .

وكذلك كانت بعض الحضارات القديمة في الشرق مثل الحضارة الصينية والهندية والفرعونية والبابلية والأشورية كل تلك الحضارات أخذت تربط تلك التغيرات وأشباهها بقوى غيبية تتحكم في الذات وتسبب لها التعاسة أو السعادة أوالصحة أو المرض وأخذ الإنسان ينظر إلى ذلك الغيب بأنه القادر على المستحيل وكان الهدف من ذلك هدفاً نفعي وكان إرضاء تلك الغيبيات هو السبيل المتاح لتقليل الشعور بالتعاسة ..

ويمكننا القول بأن جملة الحضارات الشرقية على حد زعم المؤرخين لم تسهم في النظـــر إلى النفس البشرية إلا بما جملته هو السابق .

" وإن كنت أري أن كتاب " قصة الحضارة " لـــ " ويل ديورانت " لم يغفـــل أثـــر تلـــك الحضارات بالرغم من أنه أهمل دورها في كتابة " قصة الفلسفة " وأنتقد الناقدين له بأنهم لم ينتقدونه على إهمال دور الفلسفة الشرقية والهندية والصينية في كتابه ..

وأشير في أن عدم الإشارة إلى تلك الحضارات أو الفلسفات ورؤيتها عن أحوال النفس أو عن تفسيراتها لما يعتري الإنسان من متغيرات قد يكمن وراء ذلك نوع من التحيز وعـــدم الموضوعية أو الجهل بالتاريخ البدائي والشرقي فالإنـــسان الأول هـــو أدم وأدم مُعَلـــم ، والقصص القرآنية الواردة عن حقبة آدم وأبنية وعن يعقوب ويوسف ورسل بني إسرائيل .. تدل على أن الإنسان في ذلك العهد من الزمان كان له نظرته حول أحـــوال الـــنفس .. والمجال هنا لا يسعني أن أتحدث بالكثير " وخاصة أنها وجهة نظر " .

عموما بقية النظرة إلى النفس الإنسانية على أنها قوى غيبية تفسر حسب معتقدات من قال وفسر وتشترك في كونها قوى غيبية غير مرئية حتى جاء عصر التاريخ المكتـــوب عـــن أحوال النفس وهو العصر الإغريقي .

النظره اليونانية(الفلسفة الاغريقيه):

تعتبر الفلسفة " اليونانية " بمثابة الثورة الفكرية على سابقها من الحضارات وإذا صح القول بأنها نتاج الخبره بالفلسفات الشرقية وذلك عندما نعلم أن أفلاطون غادر أثينا عـــام 399 ق.م وأنطلق على العالم وبدء بمصر وصُدم بما سمع من طبقة الكهنة التـــي كانـــت تحكم هناك من قولهم " بأن بلاد اليونان لا تزال تحبو في مهد الطفولة وأنها لازالت بدون تقاليد مستقرة أو ثقافة عميقة " ثم أنتقل إلى إيطاليا ثم عاد إلى أثينا وقد بقي خارجهـــا12 عاماً وكان عمره أنذاك 40 سنةً أنضجته شعوب مختلفة وأحكـــام متباينـــة (54 : ويـــل ديورانت).

أستمسك الإغريق وفلاسفة الحضارة اليونانية بفكرة الشيء غير المرئي بأنه هو المسئول عن السلوك والخبرة ولكنهم لم ينظروا إلى أن ذلك هو إنسان أخر و نَفَس ولكنهم ســـموا ذلك الشيء غير المرئي النفس (الروح) psyche ولم ينسبوا للروح أي معنى ديني أما الأديان ولا سيما السماوية منها فقد أعطت للروح فيما بعد معنى خاصاً (وكـــأن الأديـــان جاءت بعد الحضارة الإغريقية أو اليونانية على حد زعم الكاتب ويل ديورانت المهـــم أن الحديث المؤرخ حول النفس الإنسانية يبدأ منذ الحضارة الإغريقية علـــى إتفـــاق الكتـــاب

المؤرخين لتاريخ النظر في النفس الإنسانية وقد حاول الفلاسفة اليونانين أن يتعرفوا على طبيعة النفس ووضعها وقد توصلوا إلى نتائج مقطوع بخطئها اليوم .

وكانت تلك الفلسفات تجتمع وتفترق في رؤى وإتجاهات متعددة استطاع المنظرين أن يقسموها إلى قسمين تبعا لتفسيرها لماهية الروح والعقل وكن نتائج ذلك التقسيم:

- **الإتجاه العقلي :** الذي يري أصحابه إجمالاً بأن النشاط العقلي هو المحدد للنشاط الإنساني .
- **الإتجاه الحسي:** والذي يرى أصحابه أهمية المدركات الحسيه كأساس للنشاط الإنساني والمعرفة الإنسانية .

كانت تلك الفلسفات بادئ ذي بدء فلسفة فيزيقية نظرت إلى العالم المادي محاولة أن تجيب عن ماذا يكون جوهر الأشياء النهائي والذي لا يمكن إنقاضه ؟ ! .

وكان فيثاغورس وطاليس وهرقليط وزينون أيلي وإميدوكليس فلاسفة ورجال أقوياء ومتنبئين وكانت أغلب ما تدور حوله فلسفاتهم هي الفلسفة الفيزيقية والتي أخذو يبحثون من خلالها عن طبيعية الأشياء الخارجية وعن قوانين العالم المادي وكان ختام هذه السلسلة من الفكر والمذهب المادي لديمقريطس الذي قال : حقاً أنه لا يوجد في الفراغ أي شيء ما عدا الذرات "

ديموقريطس: كان يعتقد بأن العقل والنفس شيء واحد وأن الكائن الحي يتكون من عدد من الذرات لا حصر لها وأن السعادة من الممكن الحصول عليها بضبط النفس .وذكر كذلك أن الذرة هي أصل الحياة وأن الحواس طريق للمعرفة ، إذ تتم المعرفة عن طريق حركة الذرات التي تنطبع على الهواء ثم العين فالمخ حيث تتفاعل معه ثم تنتج الأفكار

وقد رأي **سقراط:** أن تلك الفلسفة السابقة أمر حسن ، ولكن من وجهة نظر ثانية لسقراط نظر إليها على أنها نظرة إلى قوانين العالم المادي القابل للقياس ، في حين أن هناك موضوعاً أهم بل أكثر أهمية من جميع هذه الأشياء ..الشجر والحجروتلك الكواكب .. هناك الذهن البشري . فمن هو الإنسان وماذا يستطيع أن يؤول إليه ؟

سعي سقراط ينظر الي النفس بأنها موجودة قبل الجسم وأن الجسم ما هو إلا قالب ووعاء لها فإذا فني الجسم خرجت النفس.

وفي أوخر القرن الرابع ق.م تقريبا كان هناك أيبوقراط ويسمي **هيبوقراط** " وكان يعرف بأبو الطب وقد أسس فلسفته الطبيعية محاولاً الربط بين الجسم والعقل والربط بين بنية

الشخص وشخصيته وتقدم بنظريته "الأخلاط والأمزجة " وقال أن سبب إختلاف النـــاس واختلاف طبائعهم يعود إلى السوائل الـــسائدة والمـــسيطرة فـــي أجـــسامهم وقـــال بـــأن الاضطرابات في السلوك لا تعود إلى مظاهر روحية وغيبية ولكنها مرتبطة بخلـــل فـــي العقل أو إحدى وظائفه .

وفي نفس الفترة تقريبا كان يوجد **أفلاطون** وهو ممن ألتقي بسقراط وأستفاد مـــن فلـــسفته وتأثر به كثيرا وقد قيل عن أفلاطون " أن أفلاطون هو الفلسفة وأن الفلسفة هي أفلاطون" (56). ويمثل سقراط وتلميذه أفلاطون أساس الإتجاه العقلي .

ويرى ذلك الفيلسوف أن القضايا السياسية تكمن وراءها طبيعة الإنسان ويرى أنـــه لكـــي نفهم السياسة لابد أن نفهم الإنسان وطبيعته فالإنسان حالة كحالة الدولة والحكومات تتباين تباين طبائع الناس والدول تصنع من الطبائع البشرية التي تكون فيها . ويذكر كذلك أنـــه يتوجب على الفلسفة السياسية أن تتفحص الطبيعة البشرية وتعرف كيف تتعامـــل معهـــا وكيف تعالجها(36)

وقد نظر إلي ان النفس أزلية قديمة نزلت لتمسك وتقيم في داخل الجسد ثـــم تتعـــرض لجهاد ورياضة مدى الحياة وبعد الموت تنفصل وتصبح أبدية . وقد قسم أفلاطون العـــالم إلى عالمين :

- **روحي أزلي :** والنفس من الطبيعة الروحية .
- **مادي جسدي :** والجسد من الطبيعة المادية .

وبعد أن تنزل الروح إلى الجسد تتكون منها ثلاثة نفوس أو " ثلاث منابع للسلوك البشري " وتلك هي:

النفس العالقة

والنفس العصبية

والنفس الشهوانية

ويعد هذه التقسيمة هي المنابع الرئيسية للسلوك البشري ويصف المنابع الثلاثة بمسمياتها المعرفة ، والعاطفة ، والرغبة ،

ويري أن الرغبة والشهية والدوافع والغريزة هذه جميعاً واحـــده ويـــري أن العاطفـــة والروح والطموح والشجاعة هذه جميعاً واحدة

وأن المعرفة والفكر والذهن والعقل هذه جميعاً واحدة

وينظر إلى أن الرغبة تتخذ من الأصلاب مركز لها وهي منبع متفجر بالطاقة وهذه طاقة جنسية بصورة رئيسية .

ويعتقد أن مركز العاطفة هو القلب وأن العاطفة تكون في دفق الدم وقوته وأنهـــا الطنـــين العضوي للرغبة وللخبرة .

ويري أن مركز المعرفة ومقامها في الرأس وأنها عين الرغبة وبصرها .وبمقـــدورها أن تصبح رباناً للنفس وقائد لها .

وكان يري أفلاطون أن الخبرة تؤدي إلى معرفة مغلوطة وأن المعرفـــة الحقيقيـــة هـــي المعرفة العقلية والتي تمثل المعرفة بالمعاني والماهيات الكلية وأن عالم المثل هو مـــصدر هذه المعرفة وأن النفس هي المحرك الأساسي لكل شيء .

وكان من بين تلاميذ أفلاطون **أرســـطو** الذي بدء فكره ونظرته للنفس البشرية بتعريـــف طريف : " النفس هي كامل المبداء لأي نظام عضوي ، وهي مجمـــوع قـــواه وعملياتـــه وتكون النفس في النبات فقط مغذية وإستيلادية وهي في الحيوان قوة حـــساسة ومحركـــة وهي في الإنسان قوة العقل والفكر ولا تستطيع النفس بوصفها مجموع قـــوى الجـــسد أن توجد بدونه فكلاهما كالشكل والشمع .

ويمكن الفصل بينهما في الفكر فقط ولكنهما في الحقيقة الواقعيـــة يكونـــان كـــلاً كـــاملاً وعضوياً واحداً وبذلك فإنه يخالف معلمه أفلاطون في الفصل والتوحيد بين النفس والجسد عندما إعتبارهما كلاً واحداً ويرى انه يمكن الفصل بينهما في الفكر فقـــط ولكنهمـــا فـــي الحقيقية الواقعية يكونان كل كاملاً عضوياً واحداً وبذلك فهو يخالف معلمه أفلاطون فـــي الفصل بين النفس والجسد وقد مال إلى إعتبارهما كلاً واحداً.

وقد ذاع تعريف ارسطو للنفس الفي الكتابات العربيه القديمه بأنها " **كمال أول لجـــسم طبيعي ألي ذي حياة بالقوة** " .

وتعني كمال أول ما يستكمل به الشيء نوعه وصفاته ، وقوله جسم طبيعي تميزاًله عـــن الصناعي ، ويقصد بألى أن الجسم له أعضاء وأجهزة .وكان يعتقد بـــأن الـــنفس وظيفـــة الجسد بها يحيا ويحس ويدرك ومن غيرها لا يكون .

ويدل على فكرته حول أن النفس البشرية وظيفة الجسد ما قاله :

(... لو كانت العين حيواناً لكان البصر روحه فكما أن البصر وبؤبؤ العين يكونان العين كذلك الروح والجسد يكونان الحيوان الحي ..) وهكذا يوضح أن الروح لا تنفـــصل عـــن الجسد .

ويؤرخ لأرسطو أنه أهتم بمشكلات الحس فدرس كيف نلمس وكيف نسمع وكيف نـــذوق وكيف نرى وأهتم بمشكلات الخيال والذاكرة والتفكير .

ويذكر أن الشيء يذكرنا بشيء أخر. أما لشبه به ، أو لفارق عنه ،أو لتلازم معه

وفي القرن الأول الميلادي أهتم **جالينوس** بتطوير نظرية الأخلاط والأمزجة والتي تحدث عنها أيبوقراط وقد صنف الناس حسب أخلاطهم ، أربعة أصناف :

- الشخصية الدموية (السائل الدموي) .. مرحة ودافئة ونـــشيطة - الشخـــصية البلغمية (السائل اللمفاوي) .. بطيئة وخاملة
- الشخصية الصفراوية (السائل الصفراوي) .. سريعة الإستثارة والغضب
- الشخصية السوداوية (السائل السوداوي) .. متشائمة عزلة تميل إلـــى الإكتئـــاب والحزن

كان ما سبق جملة النظر الي النفس الانسانيه في العصر الاغريقي

وقد أهتم المنظرين والمهتمين بتلك الفلسفات إلى تقسيمها إلى أكثر مـــن كونهـــا **حـــسية وعقلية** وكان نتاج التقسيم على النحو التالي :

1- فلاسفة الإتجاه الطبيعي :

وقد ركزوا على العوامل الطبيعية في دراساتهم عن الوجود والحياة والمعرفة ، منطلقين من فكرة أن حياة الإنسان ليست منفصلة عن الميحط ومنهم :

- **طاليس Thales** يري أن الماء أصل الحياة (حسي)
- **أناكسيمندر Anaximander** يري أن الحياة في اللامحدود (الأبيرون).
- **أنيكسيمانس Anaximenes** فيراها في الهواء أنيبوس(حسي)
- **هريقليطس Heraclitas** فيراها في النار
- **ديمقريطيس Democritus**: ويراه ان الذرة هي أصل الحياة (حسي).
- **بارمنيدس Parmenides**: الذي رفض أن تكون الحواس طريقاً للمعرفة (عقلي)
- **أنكـــسغوراس Anaxagoras**: وحد بين وجه نظر ديموقراطس (التوجه الحسي) وبارميندس (التوجه العقلي) ويري أن أصل الحياة هو عدد غير محدد من البـــذور التـــي تحوي شيء من كل شيء ، ونظر إلى أن العقل الكلي هو المدبر للكون وأن الإنسان قبس من ذلك العقل .

2- فلاسفة الإتجاه البايولوجي :

وقد أتجه أصحاب هذا الإتجاه إلى الداخل بدلا من الخارج أثناء تفسيراتهم للحياة أو الوجود أو الظواهر .

ومنهم :

- **الكيميون Alecmaeon** والذي كشف العصب الحسي وفرق بين الحس والتفكير ويعد رأيه بأن المدركات الحسية أصل المعرفة هو أساس تطور علم المعرفة .(حسي)

والقائل بفكرة الحتمية للنشاط الإنساني حيث يري أنها تكمن في ميكانزم الجسم الذي يسعى إلى التوازن أو أستعادة التوازن .

- وكذلك **هيبو قراط Hippocrates**(سبق الحديث عنه)(عقلي)

3- فلاسفة الإتجاه الرياضي :

يرون أن المدركات الحسية تقدم صورة مشوهة عن الوجود وأنه لا يمكن فهم حقيقة الوجود بما في ذلك حياة الإنسان إلا من خلال القوانين والتعليمات الرياضية التي لا تتسنى للحواس بل يتم إدراكها عن طريق العقل .

ومنهم : -

- **فيثاغورس Pythgoras**. (عقلي)
- **هيبوقراط . Hippocrates**(عقلي)

4- فلاسفة الإتجاه السفسطائي :

وهم يرون نهج الانتقائية والشك والحذر من قبول أي معلومة الا بعد تنقيحها والتأمل فيها وإن كان قد ارتبط بهذا المفهوم (السفسطائية) كثرة الجدل وقلب الحقائق ولكنه مفهوم خاطيء

ومنهم :

- **بروتاغوراس Portagoras** (عقلي)

- **جورجايس Gorgios** . (عقلي)

وهم يرفضون التجربة الحسية كأساس للمعرفة المطلقة اليقينية .

ولكنهم يقبلونها كأساس للمعرفة الفردية " ما حسه الفرد موجود بالنسبة له فقط ومالا يحسه غير موجود بالنسبة له فقط " .

5- فلاسفة الإتجاه الإنساني :

وهم يفسرون الوجود الإنساني والمعرفة الإنسانية في ضوء علاقته بالوجود الكلي والماهيات العليا .

ومنهم :

- **سقراط – أفلاطون**

والذين يعدون أساس الفلسفة العقلية والإتجاه العقلي في عصر النهضة

(أرسطو):-

ويعد اتجاهه أساس الفلسفة الحسية ثم فيزياء النفس والحس في بدايات استقلال علم النفس

دور الحضاره الاسلاميه:

لم يتقدم النظر إلى النفس الإنسانية كثيرا بين القرن الخامس والثاني عشر فقد أستغرق فلاسفة اليونان والغرب بصفة عامة وحتى فلاسفة العصور الوسطى في أبحاث تتناول طبيعة النفس وخلودها والعلاقة بين النفس والجسد ، ولم تفسر هذه الأبحاث النفسية عن جديد يضاف وكانت كل التأملات في النفس أستمرار للفلسفة الأفلاطونية والأرسطية أو مزيجاً منها بغية تكوين مذهب لا هواتي ينسجم مع الفكر المسيحي ويخدم فكرة خلاص الروح كما تتصوره المسيحية في حين أن الفلاسفة المسلمين أو فلاسفة المشرق اهتموا بترجمة الفلسفة الإغريقية ونقدوا وأضافوا أو تخلصوا من بعض الخرافات التي طغت على الفلاسفة اليونانية .

- وقد تابع العلماء المسلمين أمثال **الفارابي** النظر في النفس الإنسانية وقد عرف النفس الإنسانية بتعريف أرسطو ولكنه خالفة في أن البدن جزء من النفس أو أنها منطبعة فيه ، ومال إلى رأي أفلاطون الأكثر أتساقاً مع الفكر الإسلامي .

وفي ذلك يقول " **الروح الذي للإنسان هو جوهر من عالم الأمر لا يتشكل بصورة ولا يتخلق بخلقة ، وذهب في بحثه مهتماً بسمات شخصية الزعيم في تماسك الجماعة** "

- و أهتم إبن سينا كذلك بمعرفة النفس ونظر إلى أن من يعرف نفسه يزيد معرفته بربه وألف كتاباً بعنوان " **رسالة إلى النفس** " وهو كتاب يعبر عن تحليل الذات مستخدما التداعي الحر وقد أهتم أيضا بالإدراك الحسي ووضح كيف أن العقل يدرك الكليات ووضح أن الإدراك مراتب أقلها **الإدراك الحسي** : وهو أنتقال صورة الشيء الخارجي إلى الذهن ولكن الشيء الخارجي مركب من مادة فإذا إنتقلت صورته المدركة عن طريق الحواس إلى الذهن فهي غير مادية ولو أنها لم تتجرد تماماً من لواحق المادة أما **الخيال والتخيل** فأنه يبرئ الصور المنزعة المادة تبرئة أشد لأنها موجودة فقط في صحفة الخيال دون وجود مادة ماثلة أمام الحس .

وبمعني أخر **الإدراك** هو" إنتقال صورة الشيء الخارجي إلى الذهن دون أن يتجرد من ملحقات المادة "

الخيال "هو انتقال صورة الشيء إلى الذهن ويمكن فيه الزيادة أو النقصان والخيال ينزع إلي فصل الصورة عن المادة إلى صورة دون ملحقات ".

وقد أسهم بن سينا في كتابة "الشفاء "في الجزء الأول بالنظر إلى الإنفعالات التي تميز الإنسان مثل الضحك ، والتعجب ، والخجل .

كذلك يجد المتأمل في التاريخ النفس عند علماء المسلمين ما **لأبن العباس** من أسهامات جيده في معرفة خلجات الضمير والألام التي تنجم عن العواطف البشرية من حب أو كراهية وبغض إذ يقول ابن العباس في كتابه " كامل الصناعة الطبيعية " فإما الأعراض النفسية فإنه قد ينبغي ألا يدمن الإنسان على الغم ولا ينتابه الغضب ولا يكثر من الهم والفكر ولا يستعمل الحسد فإن ذلك كله ما يغير مزاج البدن ويعين على أنهاكه وضعف الحرارة الغريزية ومن كان مزاجه حاد فإن هذه الأعراض تولد الحميات الردئية بمنزلة حمي الدق ، وقرحة السل ، وما يجري في هذا المجرى ، فذلك قد ينبغي أن يتجنب الإنسان الأعراض النفسانية لكلها وأن يلهم نفسه الفرح والسرور فإنه يقوى الحرارة الغريزية ويحركها إلى الظاهر (ظاهر البدن) ويزيد في النشاط ويقوي النفس .

- وكان هناك مساهمات من علماء أخرين أهمهم : **أبو حامد الغزالي** ، وقد أهتم بدراسة السلوك وظروفه وأخذ يتحدث عن دوافعه وكيف تسمو بالسلوك إلى ضوء نور اليقين .. ومن ما ذكره الغزالي وأعجبني وأن كان كلامه جميعه منتقى

- أنه نظر إلى أن العاطفة نوعين :

- **الأول عاطفة الحب .**
- **الثاني عاطفة الكره .**

ويرى إلى أن هناك مستويات متدرجة تفصل هذين القطبين ويذكر أن العاطفة لها مصدر ومنشأ وما يلخص هذه الفكرة ،

" **أن العاطفة تتكون نتيجة اتصال الفرد بموضوع عاطفته (شخص/فكرة / مبدأ / ألة). اتصال مباشر يحدث أثناء هذا الاتصال مجموعة من الإنفعالات بتفاوت دراجاتها فإذا كان جمله الإنفعالات سارة تكونت عاطفة الحب ، وإذا كانت جملة الإنفعالات غير سارة تكونت عاطفة الكره** " .

"وهذه الفكرة تفيد في تسلسل تكوين الإتجاه إجتماعياً أو فردياً ".

إن تلك المعطيات وتميزها والتي قدمها علماء المسلمين في فترة من الزمن سبقو بها زمنهم ما جاءت إلا من تأمل وتدبر لهذه النفس الإنسانية من خلال كتاب الله وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم وملاحظات وإقتداء بمنهج علمي أسسه إبراهيم الخليل عليه السلام في التفكير والتدبر في أي متغير كان

في تلك الفترة كان يعيش الغرب لاهثين على التراجم العربية بعد أن عاشوا تحت ظلام الدين المحرف وأنتعش الغرب على تراجم عربية ويهودية لمؤلفات أرسطوا بعد ان كانت الكنيسه تمتلك زمام الأمور وتهتم بدراسة الروح(**من الذين اهتمو بدراسة الروح أوجستين وكوماس لاكويني**) ألا ان اهتمام الفلاسفة كان منصبا على دراسة العقل واستمرت جميع المحاولات الفكرية تدور في فلك أفلاطون وأرسطوا وخاصة من حيث الثنائية بين الجسم والعقل ولكن الكنيسة على_ زعم ويل ديورانت ــ كانت تملك من القوة ما يكفي لتأمين انسلاخ أرسطوا إلى لاهوت القرون الوسطى .

عصر النهضه الاوربيه :

أعيد أكتشاف أرسطو في عصر النهضة وقرئت فلسفته قراءة جيدة وقرئت التراجم لفلسفاته وقرئ شرحها وتمشي ذلك مع روح العصر والثورة على الكنسية وكان هو الفيلسوف الذي يكمن في قلب التوجهات أكثر من غيره من الفلاسفة . (انه ارسطو) وأصبح فلاسفة العصر يتأثرون في مباحثهم النفسية بمكتشفات العلوم الطبيعية المبهرة وطرقها في الملاحظة .

وعندما سادت النزعة الطبيعية فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر بفعل الإهتمام المستحدث والسريع الإنتشار للعلوم التي استطاعت أن تستقل عن الفلسفة وعندما تجمع في هذين القرنين أحداث علمية كانت تعارض إلى حد كبير مسلمات أو كان يعتقد بأنه مسلمات ، وكانت هناك ثورة على الأنظمة أو بعض الأنظمة وكان هناك عصر لبداية التغير

أنطلق عصر النهضة من تصنيف العلوم حيث قام العالم الإنجليزي **بيكون** وصنف العلوم وجعل الرياضيات أعلاها والفلسفة أمها ولم ينظر إلى أن الفلسفة علما ونظر إلى العلوم الطبيعية وقال بأن الرياضيات تستند إلى الإستنتاج في حين أن باقي العلوم الطبيعية تستند إلى الإستقراء ، وفي تلك اللحظات كان علم النفس ينام غارقاً في أحضان الفلسفة اليونانية ولكن هذا الصغير كان يحاول أن ينسق مفاهيمه مع الطبيعة واستفاد من ثورة **غاليليو** " عالم إيطالي " ثار على علم الفيزياء ويرجع إليه الفضل بعد بيكون في إزدهار ذلك العلم عندما قال" بأن جميع العمليات الفيزيائية هي حركة وسكون (الحوادث الضوئية / الحرارية / الميكانيكية) كلها حركات وسكون.

وأستفاد هذا العلم الفتي من أبحاث **هارفي** في الدورة الدموية وتعريفها للمحيط الأوروبي ومن تفسيره للعمليات الفزيولوجية تفسيرات فيزيائية فقد اعتبر القلب مضخة أو أعتبر الأوردة والشرايين أنابيب وبذلك فقد فتح نظره إلى أن الجسم البشري تنطبق فيه قوانين الطبيعة ودوران الدم في الجسد مشابه لما يحدث في الطبيعة .

* ومن ثم كان **ديكارت** (1596 –1650م)رائد الإتجاه العقلي في عصر النهضة.الذي يمثل فكرة نقله هامة في فكر عصر النهضة إلى العصر الحديث ولقد حاول تطبيق مبدأ الفيزياء على السلوك لفهمه ولفهم السلوك الحيواني والإنساني وقد بنى السلوك على الإرتكاس (رد الفعل) : حركة سائل يمر من أعضاء الحس إلى الدماغ عبر الأعصاب ومن ثم إلى العضلات .

ولقد فتح ديكارت بابا واسعاً وهو الدلالة على قوس الإرتكاس

كما يعد **سبنوزا Spinoza** من الرواد كذلك وكان يعتقد أن الحس والعمليات العقلية تعمل على مستمر واحد وأن العمليات العقلية عمليات ميكانيكية تتوسطها المدركات الحسية .كما يري أن الأنسان مدفوع للعمل من أجل الحفاظ على ذاته وأن الرغبة (الحاجة) تقود ذلك النشاط .

ويري أن الصراع يحدث من تضارب الرغبات .

وبتركيزه على أهمية الخبرات الحسية فإنه يعتبر المبشر بهذا الاتجاه في عصر النهضة .

ولقد أثر كل من **ديكارت وسينوزا** على الاتجاهات الفلسفية فيما بعد وظهرت ثلاثة اتجاهات متباينة .

أ- حيث برز الاتجاه العقلي الجديد في ألمانيا متأثرا بفلسفة ديكارت ومنهم: –

– ليبنز

ويري أن المخ يحول المحسوسات إلى أفكار مختلفة في البناء والوظيفة عن أصلها .

ويري أن المدركات الحسية غير كافية للمعرفة التي تعتمد في الأساس على الكشف عن العلاقات بين العناصر وهذا من وجهة نظره لا يتم إلا من خلال النضج

(وذلك أثر على كثير من افكار علماء النفس المعرفي في الوقت الحاضر).

– جوهان هربرت

رفضت أن يكون لإحاسيس أساس العقل ويري أن الأفكار هي عناصر العقل البشري .

– **هارتمان** :درس اللاشعور معتبراً إياه أساس للنشاط العقلي وظهر بعده فرويد

ب – وظهر الإتجاه الوضعي الحسي في بريطانيا وفرنسا متأثرا بأرسطوا وسينوزا

ويري هذا الإتجاه أن المدركات الحسية هي أساس النشاط العقلي

– **ومنهم في بريطانيا هوبس:** الذي جاء لكي يسهم بوضع لبنة لبناء سيولد قريبا وقال بأن جميع العمليات العقلية والجسدية ممكنة التحول إلى حركة . ويذكر هوبس أن الحركة الخارجية تنتقل إلى الأعصاب والدماغ ثم تبقي الحركة الداخلية في كمون على شكل ذكريات وأفكار وقد حاول أن ينسق مع الفيزياء فحول كل العمليات النفسية والعقلية أثناء تفسيرها إلى حركة .

" ومن الممكن القول بأن السيالة العصبية التي لها صفة كهربائية وعصبية ليست بعيدة عن هذا القول " .

– **وقد قدم الإنجليزي جون لوك**

فلسفة تعتبر ردة فعل لفلسفة ديكارت حيث يعتقد التجربة الحسية هي مصدر أفكارنا وقيمنا وحقائقنا وكذلك مصدر تفكيرنا وإحساسنا وأحكامنا والمهم أن تدرك معنى الترابطات الفكرية

وكان هذا النزوع يعرف **فلسفيا بالحسية الاختبارية** ويعرف **سيكولوجيا بالترابطية** وعرف فيما بعد **بالتركيبية** ويعد جون لوك الوضع الحقيقي لنظرية المعرفة .

وقد **وصف المعرفة** : بأنها تلك الانطباعات الحاصلة مما تقرره الحواس إذ إنه لا شيء في العقل سابق على التجربة فهو عند الميلاد يكون أشبه ما يكون بالصفحة البيضاء .

وجاء بعد لوك **الفيلسوف هوم** الذي أكد على أهمية الحواس ورفض أي شكل من المعارف لا يعتمد على المعرفة الحسية ، ويذكر أن ما ندعوه نفس يصبح في نهاية التحليل مجموعة من الإحساسات الجسمية وأرجع كل الفعاليات العقلية إلى الترابط والتداعي الذي يحدث بين الأفكار وظهر قانون التداعي ليحتل في مرتبة رفيعة في النظر إلى النفس الإنسانية .

وأكد هذا الاتجاه **بيركلي** الذي يعد الربط بين المدركات الحسية أساس للنشاط العقلي ويؤكد كذلك إمكانية تحليل الأفكار إلى عناصرها الحسية ويؤكد **جيمس ميل** أن العقل يجب أن يدرس عن طريق تحليل محتوياته .

وهناك من نظر إلى أن الارتباط كيميائي وليس فيزيائي وأن رتباط العناصر الحسية تحدث أفكار مختلفة ومغايرة لأساسها مثل **جون ميل**

- أمافي فرنسا

فقدربط **كوندياك** بين الخبرات الحسية والنشاط العقلي .

وأيد ذلك أخرون أمثال **بونت وميتري وميران** الذي أعتبر الإدارة أصل النشاط العقلي الإنساني ، أنا أقرر أنا موجود .

وقد بقي النظر إلى علم النفس محصورا في الترابطية التي تعد في يد **هوم** "وسيلة لتشريح الخبرة ووصفها وإندماجها مع غيرها من الخبرات" . وساعد هذا الفكر تقدم علماء الكيمياء في التحليل حيث ظهر منحنى يحلل المركبات العقلية إلى عناصرها المكونة لها من إحساسات وصور ذهنية ومفاهيم وهو إمتداد فكرة الترابطية وقد قاد أمثال هؤلاء الفلاسفة علم النفس طيلة القرن التاسع عشر تقريباً داخل هذا المضمار مستندين إلى فكرة الترابطية والتي تعود أساساً إلى فلاسفة اليونان .

وأدي تطور العلوم الطبيعية والتشريحية واكتشافات **مولر** في الجهاز العصبي والحسي وأبحاث **هولمهولتز** على الفسيولوجيا البصرية وأبحاث **فخنر** في الإحساس البصري وأبحاث **أرينست** في العتبة الحسية

أضف أن المساهمات التي قدمها تطور النظر إلى المرض النفسي على يد **مسمر** ومن ثم **جيمس برايد** وقد تم على يد **أوجستين لويت** ثم **شيركوه** وأيضا **برويير** ساعدت في ظهور مدارس فيما بعد .

ومساهمة نظرية (**النشوء و الإرتقاء**) في النظر إلى تكوين النفس الإنسانية والتي مؤداها أنه يوجد أساس لكل سمة وأن الأجزاء الجديدة تنمو من أصل مغاير إلى أن تكتمل لتنمو هذه الأجزاء فتكون كلا أو وحدة فاعله مغايرة ليس فقط في تركيبها بل وفعاليتها عن أصلها

(النمو الجنسي ، نمو الأنا ، النمو المعرفية).

وساهم تطور القياس أبتداء من **جالتون** وإنتهاء **ببينية** ثم توالي العلماء إلى أنتهاج علم النفس طريق القياس الأقرب موضوعية وعلمية ، وكل ما سبق يحويه تطور مناهج البحث في العلوم الإنسانية

وكل ذلك كان بمثابة التمهيد لظهور معمل فونت الذي تبني منهج علمي لفهم الشعور والوعي الإنساني ومن ذلك المعمل **أعلن علم النفس (علماً) سنة 1879م**

اصر الحسية

المراجع

1- قصة الفلسفه ويل ديورانت

2- المخل إلى علم النفس راضي الوقفي

3- المدخل إلى علم النفس العام رشاد دمنهوري وأخرون

4- www0arabpsychology.comحسين الغامدي